

عن تفاوت الثروات والجوع والسلاح والغابات يا سكان الأرض... هذا عالمنا بالأرقام

ماذا لو التقطنا صورة من السماء للأرض؟ ما هو شكل العالم الذين نعيش فيه؟ ماذا لو كانت الصورة شديدة التفصيل الى درجة انها ستخبرنا، بالأرقام، شكل حياتنا وصورتها، والاهم مفارقاتها. في الاتي قراءة لعالمنا بالأرقام، وهي محاولة لا مفر فيها من الوقوع في فخ سواد المشهد القائم



إعدام غابات.

ليس في الامكان الادعاء ان صورة العالم وريدية، ذلك ان معظم الوقائع التي تحيط بنا يمنة ويسرة، تشير الى اننا، غالبية اهل الارض، نسير في مسار انحداري على الرغم من كل علامات التقدم العلمي والتكنولوجي، ومظاهر القرية الكونية التي بشرونا بها منذ انبلاج عصر الانترنت.

ليس تفصيلا صغيرا ان يموت جائع في قرية نائية في مكان ما في العالم، ولا ان يتخطى دب قطبي محاولا النجاة في بيئته الثلجية التي اعتاد الحياة فيها، لاننا نساهم كل يوم، من خلال درجات حرارة الارض الاخذة في الارتفاع، في اذابة جبال الثلوج التي تمدنا بالحياة، وتنتصر بكل ما اوتينا من لامبالاة وانانية، في جعل ثقب الاوزون، يسرع في سيرنا على طريق الفناء.

ما بين المشهدين المذكورين، عالم هائل من التناقضات والاختلافات. لنبدأ مثلا بقائمة مجلة

فوربس الاميركية التي تبشرنا كل عام بلائحة اثرى الاثرياء في العالم. ونفرح ونحن نقرأ اسماء جيف بيزوس، مؤسس موقع امازون، والذي زادت ثروته في عام واحد بنحو 19 مليار دولار، لتصل الى اكثر من 130 مليار دولار، وهي ثروة اكبر بكثير من ميزانية وديون دولة مثل لبنان، او مجموعة من دول العالم الثالث.

وبيزوس الى جانب اسماء مثل بيل غيتس ووارن بافيت ومارك زوكربيرغ وغيرهم من المليارديري العالم (عدددهم 2153)، يملكون وحدهم ما مجموعه 8.7 تريليون دولار. هل في امكاننا ان نتخيل ماذا يمكن لثمانية تريليونات دولار ان تفعله في اصلاح حياة عشرات ملايين البشر؟ لنقل تحديدا ان ثمانية تريليونات دولار في امكانها انتشال الدول الافريقية العشرة الاكثر فقرا وهي، بحسب مجلة غلوبال فاينانس،

مدغشقر، جزر القمر، جنوب السودان، ليبيريا، موزمبيق، النيجر، مالاوي، جمهورية الكونغو الديمقراطية، افريقيا الوسطى، وبوروندي التي على سبيل المثال، يعيش 81% من سكانها، باقل من 1.25 دولارا في اليوم.

هل اكتفيت؟ تريليون دولار تنفق على الجيوش عالميا كل سنة. ماذا كان في امكانها ان تمنحنا مثلا؟ في ابسط الاحتمالات، شبكة انترنت قوية تغطي كل نقطة على سطح الكرة الارضية. او ربما بناء الاف المدارس في القرى والمناطق النائية في اكثر دول العالم عوزا. بناء مئات المستشفيات والمستوصفات وتوفير الادوية لملايين الناس في مناطق واسعة تفتك بها الامراض، من شدة الفقر، خصوصا في اسيا وافريقيا واميركا الجنوبية. يموت كل يوم 10 الاف شخص بسبب عدم حصولهم على الرعاية الصحية بتكلفة معقولة.



للعلم فقط، ان الولايات المتحدة تضم نحو 609 مليارديرات من بينهم 14 في المراكز العشرين الاولى. وقد تضخمت ثروات اصحاب المليارات بمعدل 2.5 مليار دولار يوميا في العام 2018، في حين انخفضت ثروات 3.8 مليارات انسان اي نصف تعداد البشرية الاكثر فقرا بنسبة 11%، بحسب منظمة اوكسفام.

بحسب تقرير اعده اكثر من مئة باحث من

اما في الدول النامية، فاحتمال ان يموت طفل من اسرة فقيرة - قبل بلوغه سن الخامسة - هو ضعف احتمال موت طفل منحد من اسرة غنية. يجري ذلك فيما عدد اصحاب المليارات قد تضاعف منذ حصول الازمة المالية العالمية الاخيرة، حيث يشهد العالم، ولادة ملياردير جديد كل يومين! بين 1980 و2016 فان الـ1% الاكثر ثراء كانوا يستحوذون على 27% من النمو العالمي.

ضرائب

في بعض البلدان، مثل البرازيل، يدفع 10% من الاقفر في المجتمع نسبة اعلى من دخلهم للضرائب مقارنة بالاغنياء.

لقد تم تخفيض معدلات الضريبة على الافراد الاثرياء والشركات بشكل كبير. فعلى سبيل المثال، تقول منظمة اوكسفام الدولية، ان نسبة الضريبة المفروضة على الشريحة الاعلى للدخل الفردي في الدول الغنية، انخفضت من 62% في العام 1970 الى 38% فقط عام 2013. ولا يبلغ المعدل المتوسط لهذه الضريبة في الدول الفقيرة سوى 28% فقط.

وجاءت اربعة سننات فقط من اصل كل دولار من ايرادات الضرائب التي يتم جمعها حول العالم، من الضرائب على الثروات كالميراث او الملكية في العام 2015. لقد تم خفض هذا النوع من الضرائب او الغاؤه في كثير من الدول الغنية، وقلما تم تطبيقه في الدول النامية. تقول المديرية التنفيذية لمنظمة اوكسفام ويني بياناما "ان الناس في جميع انحاء العالم غاضبون ومحبطون. على الحكومات الان احداث تغيير حقيقي من خلال ضمان دفع الشركات والافراد الاثرياء حصصهم العادلة من الضرائب واستثمار هذه الاموال في الرعاية الصحية المجانية والتعليم اللذين يليان حاجات الجميع، بما في ذلك النساء والفتيات اللواتي غالبا ما يهملن حاجاتهن".



احياء فقراء

70 دولة، واشرف عليه لوكا شانسيل من معهد باريس للاقتصاد وتوماس بيكيتي مؤلف الكتاب الشهير "الراسمال في القرن الحادي والعشرين"، ان التفاوت الاجتماعي والفقر تزايدتا في العالم بشكل كبير منذ ثمانينات القرن الماضي. فقد اوضح الباحثون ان الظاهرة تطورت بسرعة مختلفة، الا ان الولايات المتحدة والصين وروسيا شهدت ارتفاعا كبيرا لهذا التفاوت.

التقرير العالمي يؤكد ان حصة العائدات الوطنية التي يراكمها 10% من دافعي الضرائب الاكثر ثراء، ارتفعت من 21% الى 46% في روسيا ومن 27% الى 41% في الصين بين 1980 و2016. في الولايات المتحدة وكندا، انتقلت هذه النسبة من 34% الى 47% فيما شهدت اوروبا ارتفاعا اكثر اعتدالا (من 33% الى 37%).

الضحية الاولى لهذه الدينامية، بحسب التقرير الذي يستند الى 175 مليون بيان ضريبي واحصائي، هي الطبقة الوسطى في العالم. ويحدث هذا التراجع الكبير في ثروة الناس الاكثر فقرا في هذا العالم، فيما يعاني 820 مليونا فيه من الجوع.

وفق منظمة الاغذية الدولية (الفاو)، فان واحدا من بين كل 9 اشخاص يعانون من الجوع. لا بل ان عدد الاشخاص الجوعى قد ارتفع للعام الثالث على التوالي. عدديا، ان قارة اسيا تضم اكبر عدد من الجوعى في العالم (12% من سكانها)، بينما تحتل افريقيا مرتبة اعلى معدل للجوعى (31% من سكانها).

ان الصراعات التي صنعها الانسان هي المسبب الاول للجوع، وثانيا يأتي التغيير المناخي. لكن لعل الاهم هو ما تسميه منظمة الفاو، عدم التكافؤ الممنهج عالميا، اي ان النمو الاقتصادي الذي تحققه بعض الدول لا يكفي وحده، وانما يجب ايلاء اهتمام اكبر بكثير للشرائح الاجتماعية المهمشة، الاكثر عوزا وفقرا، وهو ما لا يحصل.

بحسب تقديرات منظمة اوكسفام، لو ان 1% من الاكثر ثراء بالعالم دفعوا ضريبة اضافية على ثرواتهم بنسبة فقط 0.5%، لساهم ذلك في جمع مبلغ كاف لتعليم 262 مليون طفل غير ملتحقين بالمدارس وتأمين الرعاية الصحية اللازمة لانقاذ 3.3 ملايين شخص من الموت.

بتعبير اخر، ان الفجوة اخذة في الاتساع بين الاغنياء والفقراء. مع ذلك، يسير العديد



القطب الشمالي.



الطمع.

عائدات منتجي الاغذية الاكبر، وزيادة تقلب اسعار المواد الغذائية في العديد من البلدان النامية، وواحد من كل 6 سلالات حيوانية محلية تتعرض لخطر الانقراض. وقد خسر العالم بين عامي 2000 و2015 مساحة من الغابات تعادل حجم جزيرة مدغشقر، خصوصا في المناطق الاستوائية في اميركا اللاتينية والدول الافريقية جنوب الصحراء وجنوب شرق اسيا. وكانت الفاو افادت ان 25% من غاز ثاني اوكسيد الكربون المنبعث في الجو من صنع الانسان يعود الى ظاهرة ازالة الغابات التي تخزن 283 مليار طن من الكربون، وان تدمير الغابات يضيف نحو ملياري طن اخرى من الكربون الى الغلاف الجوي سنويا.

لا شك في ان تدمير المواطن الطبيعية هو من اكبر الكوارث التي تواجه بيئة الارض حاليا، اذ ان هذه الظاهرة تسببت خلال القرن الاخير بتدمير ما يزيد عن 50% من غابات العالم، واكثر من 20% من شعابها المرجانية، وفقدت منطقة غرب القارة القطبية الجنوبية نحو 230 مليار طن من الجليد سنويا بين عامي 2009 و2012.

هذا جانب من شكل حياتنا الان. صحيح ان هناك الكثير من المظاهر الايجابية، لكن الارقام، وهي كثيرة، تخبرنا ان عالمنا ليس وريديا بتاتا.

العالم لا يسير على الطريق الصحيح الذي يؤدي الى تحقيق معظم مقاصد اهداف التنمية المستدامة المتعلقة بالجوع والامن الغذائي والتغذية. وقالت نائبة المدير العام لشؤون المناخ والموارد الطبيعية في الفاو، ماريا هيلينا سيميدو، ان النتائج التي توصلت اليها المنظمة، تعني ان "هدفنا الشامل المتمثل في ضمان السلام والازدهار للناس وللوكوب اقل قابلية للتحقيق".

ومما توصلت اليه الفاو في اختصار: الجوع في ارتفاع (820 مليون انسان)، عائدات منتجي الاغذية على نطاق صغير تبلغ نحو نصف

السنوات الاربعة الاخيرة كانت اكثر حرارة، في حين ان درجات الحرارة في فصل الشتاء في القطب الشمالي ارتفعت 3 درجات منذ سنة 1990، ما يعني ارتفاع مستويات البحر.

في هذه الاثناء، يتزايد تدمير غابات الامازون في البرازيل، وسجلت نسبة التدمير في تموز الماضي، زيادة 278% مقارنة بالشهر نفسه من العام 2018، وبلغت مساحة الاراضي المدمرة 2254 كيلومترا مربعا، مقارنة بـ 596 كيلومترا مربعا، بالشهر نفسه من العام 2018.

لنختم ببعض الحقائق من منظمة الفاو في تقرير اصدرته في تموز الماضي يشير الى ان

السلاح

عززت شركات السلاح في الولايات المتحدة من مركزها المهيمن على المبيعات، واستحوذت على 57% من اجمالي المبيعات العالمية.

بلغ اجمالي مبيعات الشركات الاميركية 226 مليارا و600 مليون دولار. هناك 42 شركة اميركية في قائمة معهد ستوكهولم التي تضم اكبر 100 شركة سلاح من حيث المبيعات، وجاءت 4 شركات اميركية بين اول 5 شركات سلاح في القائمة.

بلغت حصة شركات السلاح الروسية، (المرتبة الثانية)، نسبة 9.5% من المبيعات العالمية. وتراجعت بريطانيا من المركز الثاني الذي تحتله منذ العام 2002، الى المركز الثالث.

وتربعت شركة لوكهيد مارتن على قائمة اكبر بائع للأسلحة في العالم، حيث بلغت مبيعاتها 44 مليارا و900 مليون دولار اميركي.

الصحة في قارة افريقيا 10% فقط من مجمل الانفاق الحكومي، وهو يصل في اوروبا الى نحو 13%.

وفيما ذرائع التقشف هذه غالبا ما تطاول الاكثر حاجة، يتم اعفاء كبار الاثرياء والشركات العملاقة من الضرائب العالية ويمنحون ايضا تسهيلات مالية كبيرة.

لا يقف الامر عند هذا الحد، اذ يزداد الانفاق على الجيوش في مختلف انحاء العالم، وقد ارتفع الى 1822 مليار دولار العام 2018، بزيادة نسبتها 2.6% مقارنة بالعام 2017.

ادارة الرئيس الاميركي دونالد ترامب، على سبيل المثال، حددت في ميزانية العام 2019 اموالا بقيمة 686 مليار دولار لوزارة الدفاع، بزيادة 40 مليار دولار عن ميزانية العام الذي سبق، وهي الميزانية الاكبر في تاريخ الولايات المتحدة. الا ان صحيفة ذا نيشن الاميركية اشارت الى ان هذا الرقم لا يمثل مجمل انفاق الدولة على الامن القومي العسكري، وان الرقم الاجمالي للانفاق على مختلف الاجهزة والمهمات العسكرية يصل الى تريليون دولار.

في المقابل، انفق الصين 177 مليار دولار على ميزانيتها العسكرية، وتحتل المرتبة الثانية عالميا، والسعودية 82 مليار دولار، فيما انفق روسيا 61.4 مليار دولار (المرتبة السادسة عالميا)، وبريطانيا 56.1 مليارا (السابعة عالميا).

وكان معهد ستوكهولم لاجتثاث السلام اكد في تقرير ان الدول العربية استحوذت على نحو 35% من اجمالي مبيعات السلاح في العالم خلال 2014-2018.

على الرغم من مظاهر الفقر عالميا، لا تزدهر شركات السلاح وحدها، بل ايضا شركات الادوية التي تحقق مداخيل خيالية: نوفارتيس حوالي 58 مليار دولار، روش نحو 50 مليار دولار، فايزر 49 مليار دولار، سانوفي 43 مليار دولار...

ان صورة العالم التي نتحدث عنها لا يمكن ان تكتمل من دون محاولة رصد مشهد كوكبنا الذي نعيش عليه، بيئيا، وهي بحق، ارقام صادمة. لنبدأ بالهواء الذي نتنفسه، وهو بحسب منظمة الصحة العالمية، ملوث بالنسبة الى 90% من سكان الارض، ما يتسبب بوفاة نحو 7 ملايين شخص سنويا بسبب الامراض الناجمة عنه (اي 800 شخص في الساعة، او 13 شخصا في الدقيقة).



الجوع.

منظمة الصحة

الاطفال هم الاكثر عرضة لخطر تلوث الهواء، بحسب منظمة الصحة العالمية، اذ ان زهاء 600 الف منهم ماتوا في سن مبكرة بسبب الهواء الملوث في العام 2016. من اهم مصادر التلوث، الطاقة المستعملة في المنازل بغرض التدفئة والطبخ والاضاءة ايضا. يكلف التلوث الاقتصاد العالمي اكثر من 5 تريليونات دولار سنويا.

من الدول على طريق تقليص برامج الرعاية الاجتماعية، من خلال التراجع عن الخدمات العامة كالتعليم والطبابة التي كانت تقدمها، وهي في اساس الحقوق العالمية للانسان. وبحسب الامم المتحدة، فان التعليم والرعاية الصحية في الدول النامية يعانين من نقص في التمويل يبلغ 418 مليار دولار. على سبيل المقارنة، يبلغ ما يخصص لاغراض

الاشجار

تقطع الاشجار الان بمعدل هكتار (10 الاف متر مربع) في كل ثانية، مما يعني ان غابة مساحتها تعادل مساحة مدينة طوكيو اليابانية تقطع كل يوم (250 كلم مربع تقريبا)، وهذا يعادل مساحة 320,000 كلم مربع في العام، وهي مساحة تتجاوز مساحة دولة بولونيا. في قارة اميركا الشمالية، بقي الان ما يقل عن شجرة واحدة من بين كل 20 شجرة كانت موجودة اصلا في انحاء القارة. في اوروبا اختفت اكثر من نصف غابات بريطانيا خلال اخر نصف قرن فقط، فضلا عن ان العديد من غابات القارة فقدت جزءا كبيرا من تنوعها الحيوي. في الاجمال، يقدر بأن 50% من كل غابات العالم دمرت خلال الفترة الممتدة بين عامي 1950 و2000 فقط، في حين يتوقع مع هذا المسار الهائل من التدمير ان تكون معظم الغابات المطيرة حول العالم قد دمرت بحلول العام 2050.